مجلة الشهاب • المجلد: 09، العدد: 03 (2023م) • ص ص 75 - 92
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

دور السياق في تحديد دلالات اللفظ الواحد في القرآن الكريم

The role of context in determining connotations of the homonym in the Holy Quran

عبد القادر سماعيل *
مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا،
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1 (الجزائر)
semaiel.abdelkader@edu.univ-oran.dz

تاريخ الاستلام: 2022/11/23 تاريخ الاستلام: 2023/10/04 تاريخ النشر: 2023/11/15

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: يهدف هذا البحث إلى تقديم مقاربة علمية خاصة بالدراسات القرآنية متعلقة بالسياق؛ الذي هو القالب المحيط بالنص، متمثلا في مجموعة من القرائن الدالة على قصد المتكلم، وهذا من خلال القرآن الكريم وما تعلق به من خصائص سياقية، وأدوار مهمة لعبها السياق في تحديد دلالات اللفظ الواحد، خاضعة في كل هذا لإعجاز القرآن، ما يعكس طريقته في إيصال المعاني الكثيرة من ألفاظ واحدة، فيتقرر بهذا وجه الأهمية البالغ بما قدمناه من نماذج تطبيقية على ألفاظ مختارة يظهر فيها الثراء المعنوي في اللفظ الواحد، تبعا لحاكمية السياق القرآني البديع.

الكلمات المفتاحية: ألفاظ القرآن؛ دلالة اللفظ؛ السياق القرآني؛ التنوع الدلالي.

Abstract : The aim of this research is to present a scientific study on context-related Quranic studies; Which is the template surrounding the text, a set of evidence indicative of the speaker's intention, This is through the Holy Quran and its contextual characteristics and important roles reflected in the context in determining the connotations of a single word, subject to the Quran., which determines its way of communicating the many meanings of one word, This illustrates the critical importance of the models we have presented for selected words in which the semantic richness of the word is reflected in the word according to the judgment of the exquisite Quranic context.

Keywords: Words of the Quran; The connotation of the word; Quranic context; Semantic diversity.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

إن اللسان العربي من أغدَقِ الألسُن وأوسعِها في معين اللغات قاطبة، فلا ترى في أي لغة من اللغات كلاماً يجلّي لك المعاني وفق أوجز المباني، ويُوقع في نفسك الأثر، وتحسُّ من خلاله بسيلٍ بلاغي عارم تعددت فيه الأساليب، وتنوعت فيه المقاصد، وتفنَّن فيه أربابُ اللسان أيّما تفنٍن، دون ضَيق لفظي، أو حَرج دلالي، أو وعورة تدعَكها الألسن وتمجُّها الآذان، مثله، فيأخذ بتلابيب فؤادك إلى أحضان هذه اللغة، فترجع وقد ارتويت من شجى بلاغتها، ونهلتَ من دقيق معانيها، وتصوّرت المشاهد والمواقف أمام عينيك، ثم إنّ من رام العُلى فوقَ العُلى، نظر إلى درة هذه اللغة فوجدها في القرآن الكريم؛ الذي تربّع على صرح البلاغة وحفظَ بيضة هذه اللغة بما خص به من الإعجاز، فلا أسلوب يطغى على أسلوبه، ولا ناسجاً يرقى إلى صرح بلاغته فيأتي بشيء مماثل للقرآن، وفي كلٍ من هذه اللغة والقرآن ضرب من العوامل الداخلية والخارجية المحيطة بالكلام، لها أثر في الفهم، ودور في إحداث التصور، وتقرير المقاصد، تُجمع تحت مسمى "**السياق**"، وإنّ لهذا السياق جملةً من الخصائص ومبلغاً من الأهمية على كل مستويات الكلام، وفي مقدمتها اللفظ الواحد وما يصحبه من تعدد في الدلالات تبعا للسياق القرآني، وعلى إثر هذا جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ: **" دور السياق في تحديد دلالات اللفظ الواحد في القرآن الكريم."** لنكشف بها عن الإشكاليات الآتية:

- ما مفهوم السياق القرآني وماهي خصائصه؟
- كيف يسهم السياق في تأصيل المعاني ويوصل إلى المعنى الرباني المراد؟
- ما هو أثر هذا السياق على اللفظ الواحد ودلالاته في القرآن الكريم؟

من خلال هذه الإشكاليات التي دارت رحاها حول السياق القرآني وأثره على اللفظ الواحد وقصد الوصول إلى بيان شاف في هذا المنحى سلكنا مسلكا **وصفيا تحليليا** وفق منهجية علمية قائمة على مبحثين وتحت كل مبحث مطلبين: فوسمنا **المبحث الأول** بـ: السياق القرآني وخصائصه، وقدمنا في **مطلبيه:** قراءة في مفهوم السياق القرآني مظهرين خصائصه واهميته **كمطلب ثاني**.

وفي **المبحث الثاني** الموسوم بـ: دور السياق في تأصيل المعنى وأثره على دلالة الألفاظ عرّجنا في **مطلبيه** على: دور السياق في تأصيل المعاني **كمطلب أول** منتقلين في **المطلب الثاني** إلى: أثر السياق على تعدد دلالات الألفاظ القرآنية.

أهداف البحث: لا شك أن لكل باحث في أي جهد علمي جملة من الأهداف المسطرة التي يرُوم الوصول إليها من خلال المقاربة والمنهجية العلمية التي يتبعها في بحثه، ومنه تجلت لنا الأهداف الآتية في هذا المسعى:

- تقديم رؤية واضحة ومختصرة عن السياق القرآني مبينين خصائصه وأهميته.

- الكشف عن التعدد الدلالي المصاحب لتغير سياقات الكلام في القرآن على مستوى اللفظ الواحد.

- المساهمة في شق بحثي متعلق بكتاب الله تعالى وإظهار شيء من خصائصه ألا وهو السياق.

2. المبحث الأول: السياق القرآني وخصائصه

1.2. المطلب الأول: قراءة في مفهوم السياق القرآني

إن من أهم محدّدات المعاني في التراكيب السياق؛ والذي له دور جوهري في فهم النص وتحديد مقاصد الكلام، فمن خلاله نستطيع إحداث تصورٍ عام يرسمُ صورة ذهنية تتجلَّى بها المعاني وتنثال، فالحكم على المفردات والتراكيب دون مراعاة للسياق يحجب الكثير من الدلالات والمقاصد، فما من كلام إلا وله قالبه الذي يتشكل فيه، وجوّه العام الذي يوصل لفحواه.

أولا: السياق في اللغة: من الجذر الثلاثي (سَ وُ قَ) وهو في أصل استعماله كما قال ابن فارس: "(سَوُقَ) السِّينُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ حَدْوُ الشَّيْءِ. يُقَالُ سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا. وَالسَّيِّقَةُ: مَا اسْتِيقَ مِنَ الدَّوَابِّ. وَيُقَالُ سُقْتُ إِلَى امْرَأَتِي صَدَاقَهَا، وَأَسَقْتُهُ. وَالسُّوقُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذَا، لِمَا يُسَاقُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْجَمْعُ أَسْوَاقٌ."[1]،

ويتوسع ابن منظور في ذكر معاني هذا الجذر واستعمالاته اللغوية فيذكر في مادة (سَ وُ قَ) " السَّوق: مَعْرُوفٌ. ساقَ الإِبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقاً وسِياقاً، وهو سائقٌ وسَوَّاق، شدِّد لِلْمُبَالَغَةِ [...]، وساقَ إِلَيْهَا الصَّداق والمَهرَ سِياقاً وأَساقَه، وَإِنْ كَانَ دراهمَ أَو دَنَانِيرَ، لأَن أَصل الصَّداق عِنْدَ الْعَرَبِ الإِبلُ، وَهِيَ الَّتِي تُساق، فَاسْتَعْمَلَ ذَلِكَ فِي الدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ وَغَيْرِهِمَا. وساقَ فلانٌ مِن امْرَأَتِهِ أَيْ أَعْطَاهَا مَهْرَهَا."[2]

إذن فمدار الدلالة اللغوية لهذه الكلمة حول التتابع والاتصال في الحقيقة، ثم من طرق التعبير عند العرب استعمال المجاز والكنايات والاستعارات، فنجد كثيرا من الألفاظ في استعمالها تحمل دلالات مجازية وحقيقية يحددها السياق، وقد استُعمِل هذا اللفظ مجازا فقُصِد به معان كالمنّ، والعطاء، وحسن البيان في الكلام، ومن المجاز في هذه الكلمة كما قال الزمخشري:" ساق الله إليه خيراً، وساق إليها المهر، وساقت الريح السحاب، وأردت هذه الدار بثمن، فساقها الله إليك بلا ثمن. والمحتضر يسوق سياقاً، وفلان في ساقة العسكر: في آخره، وهو جمع سائق كقادة في قائد. وهو يساوِقه ويقاوده، وتساوقت الإبل: تتابعت. وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و" إليك يساق الحديث " وهذا الكلام مساقة إلى كذا، وجئتك

[1] - أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج 3، ص 170.

[2] - جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج 10، ص 166.

بالحديث على سُوقه: على سرده."[1]

ومنه فإن هذا الاصطلاح ذو دلالات على وجه الحقيقة والمجاز، بحسب التوظيف وطبيعة الكلام.

ثانيا: إطلاقات هذا الاصطلاح في القرآن الكريم:

ما دام أن هذه الدراسة دارت رحاها حول القرآن والسياق، نشير إلى أن لفظ السياق من المصطلحات التي استعملت في القرآن الكريم في مواضع عدة نذكر منها:

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا **سُقْنَٰهُ** لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ ﴾ [الأعراف: 57].

وقال سبحانه: ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا **يُسَاقُونَ** إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [الأنفال: 6].

وقال جلّ في علاه: ﴿ **وَنَسُوقُ** ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم: 86].

وقال أيضا: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا **سَآئِقٌ** وَشَهِيدٌ ﴾ [ق: 21].

وقال: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ **ٱلْمَسَاقُ** ﴾ [القيامة: 30].

وفي كل من الآيات السابقة جاءت الكلمة دلالة على السوق المراد في اللغة أي حدو الشيء واتباعه كسوق الإبل، وسوق المهر وغيره، وهكذا سوق السحاب وسوق المجرمين كما في الآيات الكريمة.

ثالثا: اصطلاحا: اختلفت التعريفات لهذا الاصطلاح بين القديم والحديث وطبيعة العلم أو الفن الموظّف لهذه الكلمة، فالسياق من الاعتبارات التي تقوم عليها كثير من العلوم قصد الوصول للأحكام ورصد مرامي الكلام، بل وفي كل اللغات، ولعل الباحث يلحظ عند الوقوف على بعض هذه التعريفات أنها مفاهيم عامة، إمّا ركزت على الأهمية أو الغرض، أو جانب من جوانب السياق دون تقديم حدٍّ جامع مانع له، وتفصيل هذه المسألة في حدّ ذاتها يحتاج بحثا مستقلا، بيد أن من أوائل التعريفات لهذا الاصطلاح ما نجده عند علماء الأصول والمفسرين كتعريف العزّ بن عبد السلام: " السِّيَاق مرشد إِلَى تبين المجملات وترجيح المحتملات وَتَقْرِير الواضحات وكل ذَلِك بعرف الِاسْتِعْمَال، فَكل صفة وَقعت فِي سِيَاق الْمَدْح كَانَت مدحا وكل صفة وَقعت فِي سِيَاق الذَّم كَانَت ذما فَمَا كَانَ مدحا بِالْوَضْعِ فَوَقع فِي سِيَاق الذَّم صَار ذما واستهزاء وتهكما بعرف الِاسْتِعْمَال مِثَاله ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ أَي الذَّلِيل المهان لوُقُوع ذَلِك فِي سِيَاق الذَّم"[2]

[1] - جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، ج 1، ص 484.

[2] - العزّ بن عبد السلام، الإمام في بيان أدلة الأحكام، ج 1، ص 160.

فنلحظ أن العز بن عبد السلام حدّ السياق من منطلق الوظيفة والأهمية مع التمثيل من كتاب الله تعالى، وهذا المسلك في الحدود معروف عند القدماء، ذلك أن السبق في العلم والوضع الأول يعذر فيه صاحبه على قدر ما حمل، فنرى كثيرا من التعاريف في شِعب العلوم الواسعة قد خَصّت جانبا عند التعريف، أو ركزت على ما تعلق به من أهمية، ومع تعدد التعاريف وتنوع المرتكزات فيه يتوصّل العلماء بعد هذا الوضع الأول إلى التعريف الجامع.

وقال ابن دقيق العيد في تعريفه: "أَمَّا السِّيَاقُ وَالْقَرَائِنُ: فَإِنَّهَا الدَّالَّةُ عَلَى مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ كَلَامِهِ. وَهِيَ الْمُرْشِدَةُ إلَى بَيَانِ الْمُجْمَلَاتِ، وَتَعْيِينِ الْمُحْتَمَلَاتِ."[1]

من هذه الأقوال يتبين لنا أن اللافت فيها هو وظيفة السياق وأهميته التي منها توصلنا إلى مفهوم هذا الاصطلاح عند الأوائل.

وفي علم اللغة الحديث يُعرّف السياق بأنه "بناء كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه، أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلوا مباشرة فقرة أو كلمة معينة، ودائما ما يكون السياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي ضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى الفقرة بأكملها."[2]

وهذا التعريف الذي أوردناه من جملة التعاريف الحديثة راجع لقرب الدلالة وتحصيل المفهوم في هذا الاصطلاح، وإلا فالتعاريف كثيرة تتفاوت فيها درجة القرب والبعد في الحدّ، بيد أن الملاحظ في هذا التعريف الوضوح وجمع قدر من الدلالة الاصطلاحية على ما فيه من التطويل والشرح.

ومن التعريفات له تعريف هاليداي حيث قال:" هو النص الآخر، أو النص المصاحب للنص الظاهر، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية."[3]

ويقدم أولمان مفهوما للسياق مفاده "أن السياق لا يشمل الكلمات والجمل السابقة واللاحقة فحسب، بل يشمل القطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات. والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة، هي الأخرى لها أهميتها البالغة في هذا الشأن."[4]

إذن نخلص من خلال التعريفات السابقة إلى أن السياق: هو القالب المحيط بالنص والمتمثل في مجموعة من القرائن اللفظية والحالية الدالة على قصد المتكلم من خلال تتابع الكلام وانتظام سابقه

[1] - ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ج 2، ص 21.
[2] - إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، ص 201.
[3] - نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص 29.
[4] - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص 57.

بلاحقه، ما يشكل الدلالة ويفصح عن المراد، الذي قد يلتبس دون مراعاة هذا القالب.

وبالنظر في القرآن الكريم وطريقته المعجزة في سوق الآيات والسور على النسق الذي حيّر البلغاء وأعجز الشعراء فإن **السياق القرآني** هو: "ما يحيط بالنص القرآني من عوامل داخلية أو خارجية، لها أثر في فهمه، من سابق أو لاحق به، أو حال من أحوال المخاطِب والمخَاطَب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه."[1].

فربطُ هذا المصطلح بالقرآن الكريم يقودنا للنظر في مجموعة واسعة من القرائن التي لا نجدها في غيره من الكلام، يدخل فيه أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمناسبات، والمكي والمدني، والتعدد اللهجي، والتركيب واختيار الألفاظ وغيرها من القرائن، لذلك قال العلماء في بيانه هو ما يحيط بالنص، أو مجموعة القرائن دلالة على الاعتبارات الكثيرة التي يشملها السياق في بيان المعنى.

وقيل في مفهومه أيضا: " أما عن السياق القرآني فإننا نقصد به الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن إلى جانب النظم الاعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع معاني تعبيراته."[2].

ومنه تبرز المرتكزات التي يقوم عليها السياق القرآني وهي: العوامل الداخلية المتعلقة بالنص كالسابق واللاحق، وتركيب الجملة، والتوظيفات اللغوية فيها، والعوامل الخارجية كطبيعة المخَاطب، وزمن الخطاب وسببه، يحكم هذه العوامل النظم الإعجازي وأسلوب القرآن؛ ليحقق المعاني على النسق الذي يرضي العامة والخاصة ويعكس دقة القرآن وروعته.

2.2. المطلب الثاني: خصائص السياق القرآني وأهميته

لا شك أن الحديث عن السياق القرآني ليس كالحديث عن سياق الكلام العادي، كون هذا السياق متعلقا بمعجزة ربانية بَان على إثرها أربابُ اللغة وأُبلِسوا، وليس مردّ هذا الإبلاس إلى تخيّر ألفاظه ودقة تراكيبه فحسب، بل هو نتاجُ تمازج عجيب في كل المستويات اللغوية والعناصر الخارجية المتعلقة بآيه وسوره، ومراعاةُ السياق من أهم العوامل التي توصل لفهم كلام الله تعالى، فمعرفة الآيات التي تسبق موضع الشاهد وتتبعه، وهو ما يعرف بالسابق واللاحق، له أثر كبير في فهم المعنى المراد من الآية من حيث الموضوع العام، والخطاب الموجّه، والأسباب التي أدت إليه، والآثار المترتبة عنه. وهذا من مقتضيات البلاغة ومسالكها أن يتعلق الكلام بسابقه ولاحقه تعلقا يحوي المعنى ويحضنه دون انفصال أو تشتت.

فإن كان هذا المقصد محوريا في البلاغة فإنّ لكلام الله تعالى من هذا المنحى ما هو أسمى وأوفى، فالله يقول:

[1] - سعد بن محمد الشهراني، السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة - دراسة نظرية تطبيقية -، ص29.
[2] - رشيد صالح، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، ص88.

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: 23]، ووجه الدلالة هذا جوهري لفهم أيّ نص كان، سواءٌ أكان إلهياً أو نبوياً أو من سائر كلام الناس، إلاّ أن دلالة السياق القرآني أبلغ أثراً وأوسع من كل سياق؛ لذلك نجد في الآية الواحدة منه دلالات سياقية جمّة، ينهل منها الأصوليون والبلاغيون والمفسرون وكل منهم يجد من دلالة هذا السياق ما يخدم بحثه، ومنه سناتي على بيان معتبر قصد استجلاء ما يتعلق بالسياق القرآني من خصائص وأهمية:

أولا: لو أردنا النظر في السياق القرآني لوجدنا أنه متعلق بأربعة أمور تحدده وهي:

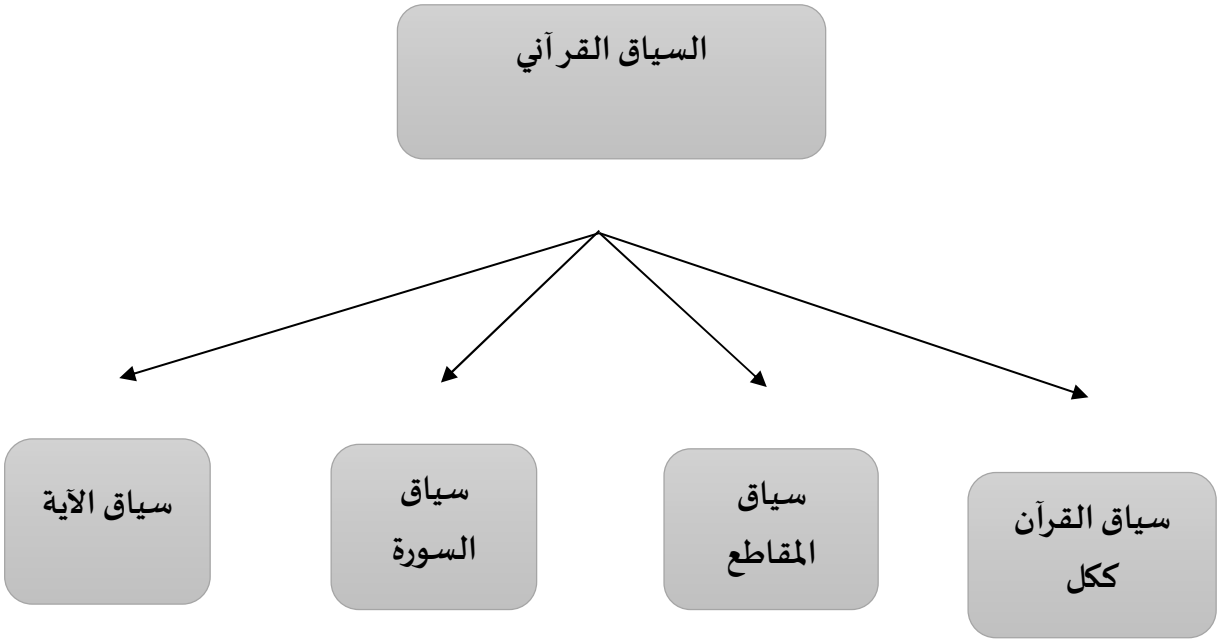

وليس كل نوع من هذه الأنواع في منأى عن الآخر، بل هو خاضع لاتساق وانسجام كلي لا نحس فيه بشيء من الوعورة والالغاز حال التنقل بين المواضيع وأخبار الأمم من سياق إلى سياق، ولمّا كانت العربية في حد ذاتها متصفة بهذا من خلال ما عرفناه من كلام البلغاء والشعراء؛ فإن القرآن جاء بما هو أبعد وأرقى. يقول الرافعي:" وقد استوفى القرآن أحسن ما في تلك اللغات من ذلك المعنى، وبان منها بهذه المناسبة العجيبة التي أظهرته على تنوُّعه في الأوضاع التركيبية مظهرَ النوع الواحد وهي مناسبةٌ معجزة في نفسها، لأن التأليف بين المواد المختلفة على وجه متناسب ممكن، ولكن التأليف بينها على وجه يجمعها ويجمع الأذواق المختلفة عليها كما اتفق القرآن، أمرٌ لا يقول بإمكانه من يعرف معنى الإمكان."[1].

ثم لزم أن نعلم أن لهذا السياق في القرآن الكريم دلالات نقف عليها حال تدبر المعاني وتفسير القرآن، ومادام أن للقرآن سعة في جانب الدلالة، منطوقا، ومفهوما، واقتضاء، وإيماء، وإشارة، وتركيبا، ولفظا

[1] - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 47.

وغير ذلك، فإن لدلالة السياق مرام كثيرة في القرآن الكريم قال الزركشي: " دَلَالَةُ السِّيَاقِ أَنْكَرَهَا بَعْضُهُمْ، وَمَنْ جَهِلَ شَيْئًا أَنْكَرَهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إنَّهَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا فِي مَجَارِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى."[1]

ثم يبرز لنا الزركشي شيءً من أهمية هذه الدلالة ودورها في القرآن بعد أن رد انكار بعض الناس لها فيقول " إنَّهَا تُرْشِدُ إلَى تَبْيِينِ الْمُجْمَلِ، وَالْقَطْعِ بِعَدَمِ احْتِمَالِ غَيْرِ الْمُرَادِ، وَتَخْصِيصِ الْعَامِّ، وَتَقْيِيدِ الْمُطْلَقِ، وَتَنَوُّعِ الدَّلَالَةِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْقَرَائِنِ الدَّالَّةِ عَلَى مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ فَمَنْ أَهْمَلَهُ غَلِطَ فِي نَظِيرِهِ وَغَالَطَ فِي مُنَاظَرَاتِهِ. " [2].

وهذا الذي ذكره الزركشي تمثيل منه على أهمية السياق لا حصر، فمن المعلوم سعة هذا الباب وغدق الدلالة.

ثانيا: للسياق القرآني دور فعّال في تحديد المعاني الدقيقة والوقوف على مراد الشارع في القرآن الكريم، ولا يُتصور غير ذلك في الكلام العادي ناهيك عن الكلام الرباني الذي يحتاج تظافرا في الملكات وسبل الفهم، وما دام أن الكلام أجناس ومستويات قد يتسع أو يضيق، أو يبسّط أو يركّب، ويحمل بعضه على بعض؛ فإن الألفاظ وحدها لا تكف لتحديد الدلالات ومراد المتكلم خارج الإطار السياقي.

وإن كان موضوع السياق قُعّد كنظرية مستقلة تبرز دوره الأساس في إدراك المعاني تبعا لما جاء به **فيرث**، فإن **الجرجاني** قبله عرّج على هذا الجانب الحساس في تحديد المعنى وإدراك المراد فقال: "واعلمْ أنك إذا رجعتَ إلى نفسِك علمتَ علْماً لا يعترضُه الشكُّ، أنْ لا نَظْمَ في الكَلِم ولا ترتيبَ، **حتى يُعلَّقَ بعضُها ببعضٍ، ويُبنى بعضُها على بَعض، وتُجعلَ هذه بسبب من تلك.** هذا ما لا يَجهلُه عاقلٌ ولا يخْفَى على أحدٍ منَ الناس."[3].

فلو نظرنا مثلا في الجذر الثلاثي (ضَ رَ بَ) في اللغة لوجدناه دلالة على إيقاع الضرر بالغير[4]، ثم نظرنا في قول الله تعالى: ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ **يَضْرِبُونَ** فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [المزمل: 20]

تبين أن الضرب المقصود هنا هو السعي في طلب الرزق والمعاش[5]، الذي فهم من خلال سياق الكلام إذ الحديث هنا عن أعذار قيام الليل وقراءة القرآن فدلنا لفظ الابتغاء بعده والذي يأتي في السياقات القرآنية دلالة على الطلب والسعي على المقصود بالضرب. في حين لو نظرنا في قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ **يَضْرِبُونَ** وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [محمد: 27]، لعرفنا أن المراد هو الضرب الحقيقي لأن سياق

[1] - بدر الدين الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ج8، ص54.
[2] - بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 200.
[3] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 55.
[4] - ينظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج 3، ص 398.
[5] - ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 23، ص699.

الكلام حول عقاب الله للذين ارتدّوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى، فكانت نتيجة ضلالهم الوعيد وأصناف العذاب.

وهذا الذي ذكرنا غيض من فيض في القرآن الكريم أردنا أن نمثل به على أهمية السياق في تحديد المعاني يقول ابن تيمية: " فَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَتَدَبَّرَ مَا قَبْلَ الْآيَةِ وَمَا بَعْدَهَا وَعَرَفَ مَقْصُودَ الْقُرْآنِ: تَبَيَّنَ لَهُ الْمُرَادُ وَعَرَفَ الْهُدَى وَالرِّسَالَةَ وَعَرَفَ السَّدَادَ مِنْ الِانْحِرَافِ وَالِاعْوِجَاجِ. وَأَمَّا تَفْسِيرُهُ بِمُجَرَّدِ مَا يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ الْمُجَرَّدُ عَنْ سَائِرِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَاهُ فَهَذَا مَنْشَأُ الْغَلَطِ مِنْ الغالطين؛ لَا سِيَّمَا كَثِيرٌ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِيهِ بِالِاحْتِمَالَاتِ اللُّغَوِيَّةِ."[1]

ثالثا: السياق مهم أيضا في التفسير ورصد المناسبات بين الآيات والسور، فالقرآن الكريم هو آيات وسور تتعدد فيه المواضيع أيما تعدد فنقرأ فيه من أخبار الأمم الغابرة وقصصهم في آيه وسوره، ثم نجده نقلنا إلى حاضرنا والمستقبل وأمور الغيب دون أن نشعر بشيء من الثقل، بل نحس ببديع نظمه وأثره علينا وهذا التناسب في كل أجزائه وسوره له تعلق بالسياق يقول البقاعي: " الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له."[2].

فكلام البقاعي الذي أخذه عن شيخه أبو الفضل المَشدالي جعله قاعدة أساسية من أجل الوقوف على المناسبات بين السور، ودور السياق في هذا الرصد واضح بيّن.

نمثل له بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا **وَلَوِ** ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران: 91]

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية يخبرنا عن حال الكفار الذين ماتوا على كفرهم، فلن يقبل من أحدهم فداءٌ كائنا من كان؛ بسبب شناعة فعلهم الذي هو الاجتراء على الكفر ثم الموت عليه، ولو افتدى بذهب يسع الأرض ويزن قدر وزنها، وهنا يأتي دور السياق في تحديد المناسبة متمثلا في " **لو** افتدى به" فلو: في مثل هذا السياق تجيء منبهة على أن ما قبلها جاء على سبيل الاستقصاء، وما بعدها جاء تنصيصاً على الحالة التي يظن أنها لا تندرج فيما قبلها، والمعنى أنه لما كان قبول الفدية واجباً عند أهل الكتاب كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ ﴾ [البقرة: 85]، ربما ظن أن بذله على طريق الافتداء يخالف بذله على غير ذلك الوجه حتى يجب قبوله، فنص عليه، فجاء القطع من الله أن لا يقبل من

[1] - تقي الدين بن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 15، ص94.

[2] - إبراهيم بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 1، ص 18.

أحدهم ما يملأ الأرض من الذهب على حال من الأحوال ولو على حال الافتداء.[1]

فاقتضى الوقوف على المناسبة في الآية معرفة دلالة لو على السابق واللاحق لتحديد المعنى الكلي المتمثل في عدم قبول ما يبذل يومئذ ولو كان فداءً.

فنخلص من خلال هذا إلى أن السياق القرآني من ألزم ما يراعى لفهم القرآن والوقوف على أسراره ولا يمكن تصور المعاني ومعرفة الدلالات الدقيقة للألفاظ دون مراعاة هذا السياق الذي يشغل كله ومقاطعه وسوره وآياته.

3. المبحث الثاني: دور السياق في تأصيل المعنى وأثره على دلالة الألفاظ

1.3. المطلب الأول: دور السياق في تأصيل المعاني

إن من أهم ما يميز اللغة العربية أنّ ألفاظها ومفرداتها حمّالة وجوه، فتجد أن للفظ الواحد معان كثيرة كما تجد أن للمسمى الواحد أوصافا عدة، ثم إنك إذا أطلقت النظر وجدت أن هذا الثراء لا يتعلق فقط بكثرة الألفاظ ومعانيها بل هو ممتد ليشمل التراكيب وتعدد الأساليب في التعبير من كنايات، واستعارات، وتشبيه، وقلب، وتضاد وغيرها من الفنون العربية، وما دام أن تحديد المعاني المصاحبة لهذا الثراء اللغوي يحتاج إلى أسس تفرق بين المعاني وتثبت جماليات التراكيب؛ فإن السياق من أهم هذه الأسس، وبما أن القرآن الكريم نزل كمعجزة تثبت صدق النبوة وتلجم كل مخالف من جنس ما برع فيه القوم واشتهروا به وهو اللغة، فلا شك أن لهذا السياق الذي له اعتبار بالغ في هذه اللغة، أن يكون له اعتبار أبلغ وتوجيهات أدق تظهر صدق المعجزة، وقد ذكرنا بعض اللمح بيانا لدوره في تحديد المعاني القرآنية، ونذكر هنا بعض التفصيل حتى نصل ببحثنا إلى اللفظ الواحد.

كما يلعب السياق دورا في تحديد الأطر والمفاهيم العامة على مستوى التركيب أو النص؛ فإنه يلعب دورا رئيسا في تحديد دلالة الكلمة على وجه الدقة في تقلباتها وتوظيفاتها، فتتجاوز الكلمة أصل دلالتها المعجمية كما رأينا في (**ضرب**) لتحمل دلالات أخرى، قد تكون مجازية، أو نفسية، أو إضافية أو غير ذلك مما يحدده السياق، وقد أشار إلى هذا الجرجاني فقال: " فقد اتَّضحَ إذن اتَّضاحاً لا يَدَعُ لِلشكِ مجالاً، أنَّ الألفاظَ لا تتفاضَلُ من حيث هي ألفاظٌ مجرَّدة، ولا من حيثُ هي كلمٌ مفردةٌ، وأن الفضيلة وخَلافَها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبهَ ذلك، مما لا تَعلُّقَ له بصريحِ اللفظ."[2].

وهذا هو المراد بتأصيل المعنى أي أصل الدلالة المراد في الموضع الذي استخدم فيه اللفظ. ولا يكون هذا إلى داخل سياق معين يحدد هذا.

---

[1] - ينظر: إبراهيم بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 4، ص 481/480.

[2] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 46.

ولو أردنا أن ننظر في اللفظ خارج سياقه الذي ورد فيه لحصّلنا معنى يدلنا على أصل اللفظ أو الاستعمالات اللغوية له على وجه الاتساع، دون بيان لمرامي الكلام ودلالاته الخاصة والفارقة فيه والتي يعكسها السياق، فالألفاظ تدلنا على معاني، والمعاني يحددها السياق.

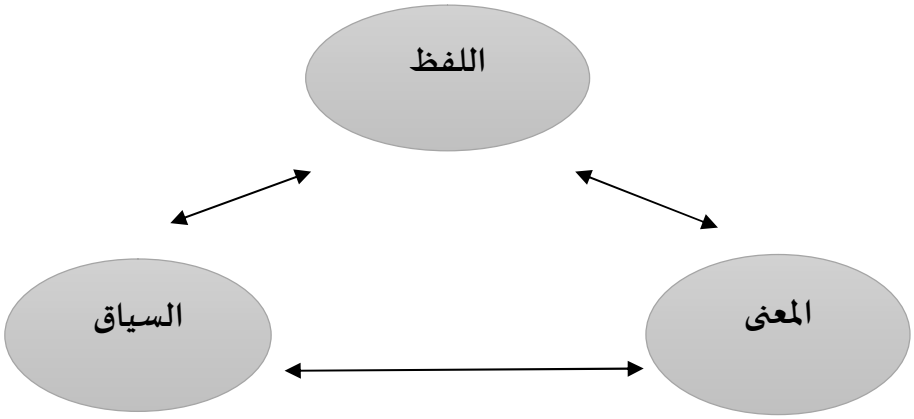

" إن الكلمة خارج السياق تحمل معها كل ما يمكن أن تثيره من دلالات يحتمل أن تؤديها، ولهذا لا يمكن الوقوف على المعنى المحدد للكلمة إلا من خلال إنجازها "**performance**" أو أدائها في سياق مقالي ومقامي محددين."[1].

والأمر في القرآن الكريم أن ليس كل ما فيه من الآيات والسور جاء فيه نقل لبيانه على وجه التفصيل أو الإحاطة بالدلالات، فهذا سر الله في كتابه ووجه اعجازي فيه، فعلى طول تدبره والنظر في سياقاته بما يملكه المتدبر من ملكات علمية تخوّله الوقوف على أسرار القرآن، ينكشف له من المعاني ويظهر له من المسائل، وهذا ما يثبته واقع التفاسير وتنوعها عبر السنين إلى يومنا.

وتفصيل هذا الذي ذكرنا في القرآن من علاقة اللفظ بالسياق في تحديد المراد ذكره الشافعي فقال: "فإنما خاطب الله بكتابه العربَ بلسانها، على ما تَعْرِف مِن معانيها، وكان مما تعرف من معانيها: اتساعُ لسانها، وأنَّ فِطْرَتَه أنْ يخاطِبَ بالشيء منه عامًّا، ظاهِرًا، يُراد به العام، الظاهر، ويُسْتغنى بأوَّل هذا منه عن آخِرِه. وعاماً ظاهراً يراد به العام، ويَدْخُلُه الخاصُّ، فيُسْتَدلُّ على هذا ببَعْض ما خوطِبَ به فيه؛ وعاماً ظاهراً، يُراد به الخاص. وظاهراً يُعْرَف في سِياقه أنَّه يُراد به غيرُ ظاهره. فكلُّ هذا موجود عِلْمُه في أول الكلام، أوْ وَسَطِهِ، أو آخِرَه." [2]

وهذا الاختيار في القرآن الكريم والأصل الدلالي المراد في الموضع الذي استخدم فيه اللفظ في الآية، جاء على وجه التناسب والتناسق مع مقتضيات الحال والمناسبات العامة والخاصة في القرآن الكريم، إذ

[1] - هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 297/296.
[2] - محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، ص 52.

هو من أهم مظاهر الجمال والإحكام فيه، ويتبع هذا مناسبة المعنى ووقعُه الذي لا يصل للنفوس، ويخالج القلوب، وينير العقول لولا هذا النسج الكلي بين الألفاظ المستعملة والمعاني المقصودة والسياقات الخادمة، يقول ابن الأثير: " ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحد وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا لا يدركه إلا من دقَّ فهمه وجلَّ نظره."[1].

2.3. المطلب الثاني: أثر السياق على تعدد دلالات الألفاظ القرآنية

ثابت أن لكل كلمة في القرآن الكريم دلالة متعلقة بسياقها الذي وردت فيه، ولو أردنا أن نترجم هذا المعنى في سياق أخر لما استطعنا أن نأتي بمثل المعنى الأول، إذ تخير الألفاظ وحاكمية السياق هي ما تحدد دقة المعاني وبراعة النظم في القرآن، فلطالما وجدنا أن سياقات الشدّة والتقريع ناسبتها شدة الألفاظ على مستوى أصواتها، ودلالتها وصيغتها الصرفية، وحتى في نحوِها كدلالة الاسم على الفعل في الثبوت وغيره، وسياقات اللين والاستعطاف ونسج القصص وسياقات كثيرة في القرآن نلحظ فيها هذا التناسب العجيب الذي يميز النظم القرآني، وهنا يظهر مكمن البلاغة وسر من أسرار الإعجاز؛ ذلك أن في القرآن الكثير من الألفاظ المشتركة والأساليب والقصص المكررة، والسياق هو الحكم عند تحديد المعنى المراد أو الزائد، وما دام أن ورود حوض هذا الرافد الإعجازي لا تسعه جنبات هذا البحث، رأينا أن نغترف غرفة منه متعلقة باللفظ الواحد وما للسياق من أثر في تعدد دلالاته تطبيقا.

لا يخف أن هذا الضرب من الكلام في اللفظ الواحد متأصل في لغة العرب جار على ألسنتهم يقول سيبويه: " اعلم أن من كلامهم - العرب - اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنى وسترى ذلك إن شاء الله تعالى. فاختلافُ اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلسَ وذهبَ. واختلاف اللفظين والمعنى واحدٌ نحو: ذهبَ وانطلقَ. واتفاق اللفظين والمعنى مختلِف قولك: **وجَدتُ** عليه من المَوْجِدة، **ووجَدت** إذا أردت وِجدان الضّالَّة. وأشباه هذا كثيرٌ."[2].

فحديثه عن اتفاق اللفظين مع اختلاف المعنى هو المراد باللفظ الواحد، واللافت في المثالين هو محددات المعنى في التركيب ففي سياق حديثنا عن ضالَّة نبحث عنها أو عارضٍ يعرض لنا يفهم من توظيفنا لكلمة وجدت الإيجاد المعروف، نحو قوله تعالى على لسان الهدهد: ﴿ إِنِّي **وَجَدتُّ** ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴾ [النمل: 23]، ولا يمكن تحديد هذا المعنى دون سياق رابط بين الموقف واللفظ المستعمل. ويؤكد هذا الحجة في العربية الإمام الشافعي في سياق حديثه عن خصائص كلام العرب: "

[1] - ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 1، ص 164.
[2] - عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، جزء 1، ص 24.

وتسمّي - العرب - الشيءَ الواحد بالأسماء الكثيرة، وتُسمي بالاسم الواحد المعانيَ الكثيرة."[1].

ولنا أن نعرض بعد هذا إلى القرآن وما خص به من قبيل هذا[2]:

1/ لفظ " الزكاة ": قال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾ [الكهف: 19].

» المراد من خلال دلالة السياق النُّموّ الحاصل عن بركة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة: 43].

» ما يخرجه الإنسان من حقّ الله تعالى إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاءِ البركة.

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس: 9].

» زكاء النفس وطهارتها بحيث يستحق الإنسان في الدُّنيا الأَوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأَجرَ والمثوبة، وهو أَن يتحرَّى الإنسان ما فيه تطهيره.

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ [مريم: 19].

» أي زكِيَّ الخِلْقة، وذلك على طريق ما ذكرناه من الاجتباءِ، وهو أَن يجعل بعض عباده عالِمًا وطَاهر الخُلُق لا بالتعَلُّم والممارسة بل بقوّة إلهيّة، كما يكون لكلّ الأَنبياءِ والرُّسُل. ويجوز أَن يكون تسميته بالزكيّ لما يكون عليه في الاستقبال لا في الحال. والمعنى سَيَتَزَكَّى.

قال تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: 32].

» ذم مدح النفس وتعداد المحاسن.

قال تعالى: ﴿ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [النور: 28].

» أي الأقرب إلى المصلحة.

2/ لفظ " الدّعاء ": قال الله تعالى: ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾ [الأنبياء: 15].

» أي: قولهم وادعاؤهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل: 80].

» أي: النداء حين تنادي.

قال الله تعالى:﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ [الأنعام: 71].

---

[1] - محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، ص 52.

[2] - اعتمدنا في بيان معاني هذه الألفاظ على: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (حرف الزاي، الدال، الخاء، الحاء). مجد الدين الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (حرف الزاي، الدال، الخاء، الحاء). محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن.

» بمعنى العبادة أي: أنعبد من دون الله.

قال الله تعالى:﴿ **وَٱدۡعُواْ** مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: 38].

» بمعنى الاستعانة والاستغاثة، أي: استعينوا بمن استطعتم.

قال الله تعالى: ﴿ **تَدۡعُواْ** مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [المعارج: 17]

» بمعنى العذاب والعقوبة في سياق الحديث عن النار أي: تعذب.

3/ لفظ " الخُسر": قال سبحانه: ﴿ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا **لَّخَٰسِرُونَ** ﴾ [يوسف: 14].

» بمعنى العجز أي: لعاجزون.

قال سبحانه:﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ **خَسِرُوٓاْ** أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر: 15].

» بمعنى الغبن أي: غبنوها.

قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي **خُسۡرٍ** ﴾ [العصر: 2].

» بمعنى الضلالة أي: لفي ضلال.

قال سبحانه: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا **تُخۡسِرُواْ** ٱلۡمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: 9].

» بمعنى نقصان الكيل والميزان أي: لا تنقصوا ولا تطففوا في الميزان.

4/ لفظ " الحملُ ": قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن **يَحۡمِلۡنَهَا** وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا **وَحَمَلَهَا** ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾ [الأحزاب: 72].

» بمعنى قبول الأمانة أي: قبل حملها الانسان.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ **حَمَلۡنَٰكُمۡ** فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة: 11].

» بمعنى الحفظ والرعاية، أي تكفّلنا حفظكم ورعايتكم وسط الموج.

قال تعالى: ﴿ **وَتَحۡمِلُ** أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ ﴾ [النحل: 7].

» بمعنى الرفع أي: ترفع عنكم أحمالكم ومتاعكم.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا **حَمَلَتۡ حَمۡلًا** خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦ ﴾ [الأعراف: 189].

» بمعنى حمل الولادة.

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ **حُمِّلُواْ** ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ **يَحۡمِلُوهَا** كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾ [الجمعة: 5].

» بمعنى الإيجاب والإلزام، أي: لم يلتزموا بها ولم يتقيدوا بما أوجب الله عليهم.

ما سبق من النماذج متعلق باللفظ الواحد وتعدد معانيه في الآيات المختلفة، وسنعرض تعدد هذا المعنى في السورة الواحدة والموضع القريب من الاستعمال الأول له، وذلك في سورة التكاثر في قوله تعالى: ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ [التكاثر: 1-5].

ففي سياق الزجر والوعيد أكد ربنا سبحانه وتعالى في السورة الخبر في قوله: ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ ليفيد التأكيد الثاني معنى يختلف عما أفاده أولا، فالزجر والوعيد الثاني مماثل للأول لكّن عطفه بـ "ثم" اقتضى كونه أقوى من الأول فأفاد تحقيق الأول وتهويله، قال الطاهر بن عاشور: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَا يَنْزِلُ بِكُمْ مِنْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ: ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ عِنْدَ الْبَعْثِ أَنَّ مَا وُعِدْتُمْ بِهِ صِدْقٌ، أَيْ تُجْعَلُ كُلُّ جُمْلَةٍ مُرَادًا بِهَا تَهْدِيدٌ بِشَيْءٍ خَاصٍّ. وَهَذَا مِنْ مُسْتَتْبَعَاتِ التَّرَاكِيبِ وَالتَّعْوِيلِ عَلَى مَعُونَةِ الْقَرَائِنِ بِتَقْدِيرِ مَفْعُولٍ خَاصٍّ لِكُلٍّ مِنْ فِعْلَيْ تَعْلَمُونَ."[1]

ثم أعيد الزجرة مرة ثالثة في قوله: ﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ زِيَادَةً فِي إِبْطَالِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهْوِ عَنِ التَّدَبُّرِ فِي أَقْوَالِ الْقُرْآنِ لَعَلَّهُمْ يُقْلِعُونَ عَن انكبابهم على التَّكَاثُرِ مِمَّا هُمْ يَتَكَاثَرُونَ فِيهِ وَلَهْوِهِمْ بِهِ عَنِ النَّظَرِ فِي دَعْوَةِ الْحَقِّ وَالتَّوْحِيدِ.[2]

فمع أن اللفظ واحد "تعلمون" لكنّ ما سيعلمونه تهويلا وما غبنوا به أنفسهم من الوعيد أقوى في الثاني وأزيد في الثالث وذلك بحاكمية سياق الزجر وقرائن اللغة المثبتة للمعاني.

هذا والأمثلة كثيرة في كتاب الله تعالى تبرز من خلالها فخامة اللغة العربية وتعدد الدلالات في اللفظ الواحد فيها، ليزيدها القرآن فخامة وعلوا لا تصل إليه أي لغة من اللغات، فلو أن الباحث فتح سجلات التاريخ وبحث عن لغة مثل اللغة العربية في هذا الجانب فقط، لرجع خائبا، فأي لغة يمكن أن تقدم لنا من لفظ واحد هذا القدر الهائل من المعاني؟

4. خاتمة

خِتاما لهذه الدراسة في كنف اللغة العربية والقرآن الكريم ومع دور السياق وأهميته في تحديد دلالات اللفظ الواحد في القرآن نقول: أن السياق القرآني من أهم المحددات والعناصر المساهمة في فهم المعنى المنشود من الآية من حيث الموضوع، والخطاب، والأسباب التي أدت إليه، والآثار المترتبة عليه، يخضع لاتساق وانسجام كلي حال التنقل من سياق إلى سياق وبين المواضيع المتعددة في القرآن الكريم ومن هذا المسلك البحثيّ نخلُص إلى جملة من النتائج العلمية بيانها فيما يأتي:

- السياق هو القالب المحيط بالنص والمتمثل في مجموعة من القرائن اللفظية والحالية الدالة على

[1] - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، جزء 30، ص521.

[2] - ينظر: المصدر نفسه، جزء 30، ص521.

قصد المتكلم؛ من خلال تتابع الكلام وانتظام سابقه بلاحقه، ما يشكل الدلالة ويفصح عن المراد.

- السياق القرآني هو ما يحيط بالنص القرآني من عوامل داخلية أو خارجية، لها أثر في فهمه، تابعة للنظم الإعجازي والأسلوب البياني المحكَم.

- للسياق القرآني دور فعّال في تحديد المعاني الدقيقة والوقوف على مراد الشارع في القرآن الكريم، وهو مهم في التفسير ورصد المناسبات بين الآيات والسور.

- النظر في اللفظ خارج سياقه الذي ورد فيه يضع أمامنا أصل اللفظ أو الاستعمالات اللغوية له على وجه الاتساع والشمول، والتفرقة بين هذه الاستعمالات راجعة لسياق الكلام.

- وجه تحديد المعاني والوقوف على الدقائق الدلالية في الألفاظ الواحدة المكررة في القرآن الكريم، هو تتبع سياق الكلام والنظر فيه.

- ألفاظ القرآن الكريم ألفاظ مختارة على وجه الدقة والإعجاز، يظهر جانب من بديعِ توظيفها في الالفاظ الواحدة وما تحمله من معاني في سياقاتها.

هذا ونتفضل **بتوصيات** للباحثين والدارسين لمزيد التوسع في هذا الشق المتعلق بالدراسات القرآنية عموما، والبحث في السياق القرآني خصوصا، كون تغطية هذا الرافد العذب والمتعلق بأحكامٍ ودلالاتٍ ليست لغوية أو أدبية فقط، بل تشمل كل ضروب العلم، يحتاج إلى تظافر في الجهود خدمة لكتاب الله تعالى.

5. قائمة المراجع:

1.القرآن الكريم:

- مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي برواية حفص عن عاصم.

2.المؤلفات:

- ابن الأثير ضياء الدين، (د.ت)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مصر، دار نهضة مصر.
- ابن تيمية تقي الدين، (1995)، مجموع الفتاوى، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ابن دقيق العيد، (د.ت)، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، مطبعة السنة المحمدية.
- ابن عاشور محمد الطاهر، (1984)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس، الدار التونسية للنشر.
- ابن فارس أحمد، (1979)، مقاييس اللغة، سوريا، دار الفكر.
- ابن منظور جمال الدين، (1414)، لسان العرب، لبنان، دار صادر.
- الأصفهاني الراغب، (1412)، المفردات في غريب القرآن، سوريا، دار القلم.
- أولمان ستيفن، (د.ت)، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب.
- البقاعي إبراهيم بن أبي بكر، (د.ت)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصر، دار الكتاب الإسلامي.

- الجرجاني عبد القاهر، (1992)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، مصر، مطبعة المدني بالقاهرة.
- دراز محمد عبد الله، د.ت، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، الكويت، دار القلم.
- الرافعي مصطفى صادق، (2005)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لبنان، دار الكتاب العربي.
- رشيد صالح عبد الوهاب، (2012)، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع.
- الزركشي بدر الدين، (1957)، البرهان في علوم القرآن، لبنان، دار المعرفة.
- الزركشي بدر الدين، (1994)، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتب.
- الزمخشري جار الله، (1998)، أساس البلاغة، لبنان، دار الكتب العلمية.
- سيبويه عمرو بن عثمان، (1988)، الكتاب، مصر، مكتبة الخانجي.
- الشافعي محمد بن ادريس، (1940)، الرسالة، مصر، مكتبة الحلبي.
- الشهراني سعد بن محمد، (1436)، السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة -دراسة نظرية تطبيقية -، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود.
- الطبري محمد بن جرير، (2000)، جامع البيان في تأويل القرآن، لبنان، مؤسسة الرسالة.
- العز بن عبد السلام عز الدين، (1987)، الإمام في بيان أدلة الأحكام، لبنان، دار البشائر الإسلامية.
- عوض يوسف نور، (1410)، علم النص ونظرية الترجمة، مكة المكرمة، دار الثقة للنشر والتوزيع.
- فتحي إبراهيم، (1986)، معجم المصطلحات الأدبية، الجمهورية التونسية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين.
- الفيروز آبادي مجد الدين، (1996)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- نهر هادي، (2007)، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، الأردن، دار الأمل للنشر والتوزيع.

Bibliography List

1. The Holy Quran:

- The Prophetic City Quran for Computer Publishing, Narration of Hafs on the authority of Asim.

2. Books:

- Al-Asfahani al-Raghib (1412), The vocabulary in the Quran, Syria, Dar al-Qalam.
- Al-Biqai 'Ibrahim bin Abu Bakr, The Pearls in the proportionality of Verses and Surah's of the Quran, Egypt, Islamic Book House.
- Al-Ezz bin Abdul Salam Ezz Al-Din, (1987), The Imam in the Statement of Evidence of Rulings, Lebanon, The Islamic House of Al-Bashaer.
- Al-Fayrouz Abadi Majd al-Din (1996), The Insights of the Discriminators in the Holy Quran, Egypt, Supreme Council for Islamic Affairs.
- Al-Jarjani Abd al-Qaher (1992), Evidences of Miracle in The science of meaningfulness, Egypt, Cairo Civil Press.

- Al-Rafi Mustafa Sadik (2005), The miracle of the Qur'an and the prophetic eloquence, Lebanon, Arab Book.
- Al-Shahrani Saad bin Mohammed (1436), Quranic Context and Its Impact on the Interpretation of Modern Mental School - Applied Theory Study - Saudi Arabia, King Saud University.
- Al-Tabari Mohammed Benjerer (2000), Manifesto Collector in Quran Interpretation, Lebanon, Al-Resala Foundation.
- Al-Zamakhchari, (1998), Basis for rhetoric, Lebanon, Science Books House.
- Al-Zarqshi Badr al-Din (1957), The Proof in Quran Science, Lebanon, Dar Al-Ma'rifa.
- Awad Youssef Nour (1410), Text Science and Translation Theory, Mecca, Dar Al-Thiqah for Publishing and Distribution.
- Draz Mohammed Abdullah, The Great News -New Looks in Quran, Kuwait, Dar al-Qalam.
- El Shafei Mohammed bin Idris (1940), Letter Book, Egypt, Halabi Library.
- Fathi Ibrahim (1986), Dictionary of Literary Terminology, Republic of Tunisia, Arab Foundation for United Publishers.
- Hadi Nahr (2007), Applied Semantics in Arab Heritage, Jordan, Dar Al Amal Publishing and Distribution House.
- Ibn al-Ethir Zia al-Din, The proverbial example in the literature of the writer and poet, Egypt, Dar el-Nahda Egypt.
- Ibn Ashour Mohamed Al Taher (1984), Editing and Enlightenment, Tunisia, Tunisia Publishing House.
- Ibn Faris Ahmed, (1979), Language Metrics, Syria, Dar Al-Fikr.
- Ibn Manzoor Jamal al-Din (1414), Arabic Tongue Book, Lebanon, Dar Sader.
- Ibn Timiya Thaqi al-Din (1995), Total Fatwas, Saudi Arabia, King Fahd Printing Complex.
- Rashid Saleh Abd al-Wahab (2012), connotation of context, safe approach to interpretation of the Holy Koran, Jordan, Ammar Publishing and Distribution House.
- Sibawayh Amr bin Osman (1988), The Book by Sibawayh, Egypt, Khanji Library.
- Ullman Stephen, The Role of The Word in Language, Translation by Kamal Mohammed Bishr, Youth Library.